

تفسير البحر المحيط

@ 104 أن تكون ألفها للإلحاق كارطي . وقرأ جماعة منهم : حمزة ، وابن عامر ، وأبو بكر ، جرف بإسكان الراء ، وباقي السبعة وجماعة بضمها ، وهما لغتان . وقيل : الأصل الضم . وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده في نار جهنم ، والظاهر أن هذا الكلام فيه تبين حالي المسجدين : مسجد قباء ، أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (ومسجد الضرار ، وانتفاء تساويهما والتفريق بينهما ، وكذلك قال كثير من المفسرين . وقال جابر بن عبد الله : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار وانهار يوم الاثنين . وروى سعيد بن جبير : أنه إذ أرسل الرسول بهدمه رؤي منه الدخان يخرج ، وروي أنه كان الرجل يدخل فيه سعة من سعف النخل فيخرجها سوداء محترقة ، وكان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان . وقيل : هذا ضرب مثل أي من أسس بنيانه على الإسلام خير أم من أسس بنيانه على الشرك والنفاق ، وبين أن بناء الكافر كبناء على شفا جرف هار يتهور أهله في جهنم . قال ابن عطية : قيل : بل ذلك حقيقة ، وأن ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنم قاله : قتادة ، وابن جريج . وخير لا شركة بين الأمرين في خير إلا على معتقد باني مسجد الضرار ، فبحسب ذلك المعتقد صح التفضيل . .

وقال الزمخشري : والمعنى : أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله تعالى ورسوله خير ، أم من أسس على قاعدة هي أضعف القواعد وأوهاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك ؟ وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى ، لا جعل مجازاً عن ما ينافي التقوى . (فإن قلت) : فما معنى قوله : تعالى فانهار به في نار جهنم ؟ (قلت) : لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل قيل : فانهار به على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم ، إلا أنه رشح المجاز فجاء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف ، ولتصور أن الباطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها ، ولا نرى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل . وكنه أمره والفاعل فانهار أي : البنيان أو الشفا أو الجرف به ، أي : المؤسس الباني ، أو أنهار الشفا أو الجرف به أي : بالبنيان . ويستلزم انهيار الشفا والبنيان ، ولا يستلزم انهيار أحدهما انهياره . والله لا يهدي القوم الظالمين ، إشارة إلى تعديهم ووضع الشيء في غير موضعه حيث بنوا مسجد الضرار ، إذ المساجد بيوت الله يجب أن يخلص فيها القصد والنية لوجه الله وعبادته ، فبنوه ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله . .

{ لا يزال بُنْدِيَانُهُمُْ السَّذِي بَدْوًا رِيبةً في قُلُوبِهِمُْ إِلَّا أَنْ
تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمُْ وَاللَّهِ عَليْمٌ حَكِيمٌ } : يحتمل أن يكون البنيان هنا
مصدرًا أي : لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان ، ويحتمل أن يراد به المبني ، فيكون على حذف
مضاف أي : لا يزال بناء المبني . قال ابن عباس : لا يزالون شاكين . وقال حبيب بن أبي
ثابت : غيظًا في قلوبهم ، أي سبب غيظ . وقيل : كفرًا في قلوبهم . وقال عطاء : نفاقًا
في قلوبهم . وقال ابن جبير : أسفًا وندامة . وقال ابن السائب ومقاتل : حسرة وندامة ،
لأنهم ندموا على بنيانه . وقال قتادة : في الكلام حذف تقديره : لا يزال هدم بنيانهم الذي
بنوا ريبة أي : حزازة وغيظًا في قلوبهم . وقال ابن عطية : الذي بنوا تأكيد وتصريح بأمر
المسجد ورفع الإشكال ، والريبة الشك ، وقد يسمى ريبة فساد المعتقد واضطرابه ، والإعراض
في الشيء والتخبط فيه . والحزازة من أجله ، وإن لم يكن شكًا فقد يرتاب من لا يشك ،
ولكنها في معتاد اللغة تجري مع الشك . ومعنى الريبة في هذه الآية نعم الحيق ، واعتقاد
صواب فعلهم ، ونحو هذا مما يؤدي كله إلى الريبة في الإسلام . فمقصد الكلام : لا يزال هذا
البنيان الذي هدم لهم يبقي في قلوبهم حزازة وأثر سوء . وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا
، وفسرها السدي بالكفر . وقيل له : أفكفر مجمع بن جارية ؟ قال : لا ، ولكنها حزازة .
قال ابن عطية : ومجمع رحمه الله ، قد أقسم لعمر أنه ما علم باطن القوم ، ولا قصد سوء .
والآية إنما عنت من أبطن سوء . وليس مجمع